ويجب على الداعية ألا تشغله الدعوة عن الاهتمام بنفسه في بيته، فإن بعض الدعاة قد يتزوج القضية - كما يقولون - ويكون مع زوجته في بعدٍ وجفاء، رغم أنها تبيت معه في فراشه؛ بحجة أنه مهموم وأنه مشغول، وأن عليه أعباءً، فالمرأة لها حقها والدعوة لها حقها.

المطلب الرابع
مفاهيم في الاستقرار الأسري

١- من المهم أن يسري مبدأ الشورى بين الداعية وأفراد أسرته كما يسري على الأمور العامة في الحياة.

فمثلاً مسألة تغيير مكان السكن والإقامة والعمل الدعوي لابد أن يكون القرار مبنيّاً على مشاورة الزوجة والأولاد إن أمكن، ولعل هذا يكون أحد الأسباب المهمة لسعادة العائلة والانطلاق في العمل الدعوي معه بقوة ونشاط.

٢- من أسباب الاستقرار الأسري للداعية توريث الدعوة للزوجة والأبناء ليكون بيت الداعية منارة ترتفع ليصدر عنها نور الإسلام، وليُخرج لبنة في بنيان الدعوة، وليُنبت برعماً في حقل العمل الإسلامي، وحين يشبون وينتقلون من طور الطفولة إلى الشباب نلمس فيهم الوعي والفطنة، وبهذا سيكونون حملة الدين غداً.

ما أجمل أن تستقيم الذرية على خط الهداية وأن تجتمع الأسرة بأجيالها المتوالية: الآباء فالأبناء ثم الأحفاد في دفَّة العمل الإسلامي، إنها نعمة عظيمة..

٣- إن نسيان أسرة الداعية، -من زوجة وأبناء وما لهم من حقوق على الداعية

القريب-، هو أحد آفات العمل، بل ينبغي أن نصل إلى مستوى آخر من العمل، فنجعل من أسرة الرحم الصغيرة؛ من الوالدين والإخوة بالنسبة للشباب، أو الزوجة والأبناء بالنسبة للمتزوجين، وأسرة الرحم الكبيرة بالنسبة للعائلة الممتدة، مجالاً خصباً للدعوة، وذلك بإنتاج نموذج القدوة لمن حولنا، وبالحوار والنصيحة والبذل لهم.

إن ميدان أسرة الرحم يجب أن يعود إلى حساباتنا من جديد، وينال حظه في سلم الأولويات وإعطاء كل ذي حقٍّ حقه، حتى نحقق التوازن المطلوب بين متطلبات الأسرة والرحم في عمل دعوي داخلي، ومتطلبات العمل الدعوي في المجتمع العام؛ فنحاول ما استطعنا تحقيق التوازن.

والخلاصة: أن الداعية بتوازنه واعتداله وتنظيمه لحياته، يستطيع أن يجعل بيته مستقراً قادراً على أن يكون قبلةً للخير والدعوة والبلاغ.

المبحث الخامس
الحاجة إلى الاستقرار النفسي

والمقصود بالاستقرار النفسي للداعية: وصول الداعية إلى الهدوء والاطمئنان وصفاء الذهن والنقاء، وذلك يعينه على أداء مهمته الدعوية.

وهو أمر نسبي يختلف من داعيةٍ لآخر، ومن مجتمعٍ دعوي لمجتمعٍ آخر، بل يختلف لدى الداعية نفسه مع اختلاف ظروفه المعيشية والدعوية ومراحل حياته وتجاربه.

ويمكن بيان معالم الحاجة للاستقرار النفسي في المحاور التالية:

المطلب الأول: أهمية تلبية الاستقرار النفسي للدعاة في القرآن.

المطلب الثاني: مواطن الحاجة للاستقرار النفسي للدعاة.

المطلب الثالث: وسائل تلبية احتياج الاستقرار النفسي للدعاة.

المطلب الأول
أهمية تلبية الاستقرار النفسي للدعاة في القرآن

إن الحاجة إلى الاستقرار النفسي من أهم الأمور التي يحتاجها الداعية، فإنه إذا لم يكن قلب الداعية وعقله في راحةٍ فلن يحقق ما يرجوه وما يُرجَى له من الخير.

وعندما يكون الداعية في راحةٍ واستقرارٍ نفسي يتوافر لديه إحساس بالرضا الذي يؤدي إلى العمل والإنتاج تحت أي ظرفٍ، مع العلم أن طبائع النفس البشرية يصعب عليها الوصول لحالة من الاستقرار النفسي التام أو الاستمرار على حالةٍ واحدةٍ من الاستقرار النفسي.

ومن الأهمية إبراز عناية الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالتوجيهات التي تراعي الجانب النفسي للدعاة، والتي لا بد من العناية بها ووضع البرامج المناسبة للدعاة للعناية بها.

ومما يدل على أهمية الاستقرار النفسي للداعية، أن الله تعالى أنزل ثلاث سورٍ خاصةً برسول الله ﷺ، وهي كذلك رسالة للدعاة من بعده وتطمين لهم بأن الله معهم، هاديهم وناصرهم وميسرٌ لهم أمورهم، وسيرضيهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ [الضحى: ١-٨].

في هذه السورة لمسةٌ من حنانٍ ورحمةٍ وودٍّ، تمسح على الآلام والمواجع، وتجلب الروْح والرضا والأمل والطمأنينة واليقين للروح المتعبة والقلب الموجوع.

فتلبية الاستقرار النفسي في هذه السورة اشتمل على: طمأنة النبي ﷺ بمعية الله له،

وطمأنته بأن الآخرة له، ووعده بالعطاء الذي يرضيه، وتذكيره ببعض نعم الله عليه التي عاش ويعيش فيها ليزداد طمأنينة.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ [الشرح:١-٦].

نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى. وكأنها تكملة لها. وفيها كذلك العطف والمناجاة الحبيب، وفيها البشرى باليسر والفرج. وفيها التوجيه إلى طريق التيسير.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ١].

«جاءت سورة الكوثر تزفّ إلى سيد المؤمنين بالله واليوم الآخر، هذا العطاء الجزيل، وذلك الفضل الكبير من ربه.. ومن هذا العطاء، وذلك الفضل ينال كلُّ مؤمن ومؤمنة نصيبه من فضل الله، وعطائه على قدر ما عمل»(١).

فهذه السور تظهر بأن هناك ضائقةً كانت في نفس الرسول ﷺ لأمرٍ من أمور هذه الدعوة التي كلفها، وأنه ﷺ كان مثقلاً بهموم هذه الدعوة الثقيلة، فكان في حاجة إلى عون وزاد ورعاية وتطمين.

ولا بد من التنبيه إلى أن الاستقرار النفسي للداعية يؤدي إلى العصمة من الركون للكفار، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٣، ٧٤]. فهذا «إخبار عن تأييده تعالى رسوله، صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته وعصمته وتولي أمره وحفظه. فإن المشركين، لكثرة تفننهم في ضروب الأذى

(١) التفسير القرآني للقرآن ٣/ ٩٢.

وشدة تعنتهم وقوة شكيمتهم، كادوا أن يفتنوه، ولكن عناية الله وحفظه، هو الذي ثبت قدمه في مثل مقامه في الدعوة إلى الله الذي لا يثبت فيه أحد غيره»(١).

المطلب الثاني

مواطن الحاجة للاستقرار النفسي للدعاة

◈ أولاً: التهيئة النفسية عند التكليف بأمر الدعوة:

لا بد عند تكليف الداعية بالدعوة أو بتكليفٍ دعويٍّ شاقٍّ أن يتم تهيئة الداعية لكي يهون عليه الأمر ويسعى لتحقيقه.

وهذا الأمر يظهر جليّاً في موقفين:

الأول: عند تكليف الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام بالنبوة والرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ [طه: ١٧-٢٣].

فموسى عليه الصلاة والسلام كان فيه من الخوف ما الله به عليم فطمأنه الله وهدأ من روعه، فدار هذا النقاش، ومن فوائده أن يَنسى موسى هول الموقف.

الثاني: في حادثة أول نزول لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على نبينا محمد ﷺ، تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «..فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: **(ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني**

(١) محاسن التأويل ٦/ ٤٧٩.

الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق ١-٣]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: **(زملوني زملوني)**. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، وقال: **(لقد خشيت على نفسي)**. فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»(١).

فهذه الضمة التي وقعت لرسول الله ﷺ في أول أمر التكليف الدعوي؛ فيها الدفء، والحنان، والتهدئة من روعه، وخوفه من هول ما رأى، مهما كانت هذه الضمة قويةً، فقد أدرك رسول الله قيمة هذه الضمة فيما بعدُ عندما انقطع عنه الوحي بعدها فاشتاق إلى الوحي مع أن الضمة كان قوية.

وأيضاً موقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في تهدئة النبي ﷺ وتبشيره بأنه لن يصيبه أذى؛ لما فيه من صفات الكرم وصلة الرحم وإعانة المكروب، كل ذلك مما يزيل ما بالنبي ﷺ من رهبة.

◈ ثانياً: التهيئة النفسية عند الأمر بدعوة الطغاة:

فعندما كلف الله موسى عليه الصلاة والسلام بدعوة فرعون بقوله: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤]، أوجس في نفسه خيفة من فرعون، وظهر هذا الخوف كذلك في دعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه: ٢٥-٣٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب بدء الوحي (٣).

وظهر هذا في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص٣٣، ٣٤].

وهنا أراد الله أن يطمئنه فقال له: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٦]، وفصل ذلك بقوله: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٥].

وبعد هذا التطمين أعاد الله عليه الأمر ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤] وهنا قال موسى وأخيه هارون: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥] فقال له الله تعالى يطمئنهما أشد تطمين: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]. وقال: ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥].

وعند مناظرة السحرة وقذف عصيهم وسحرهم لأعين الناس، فخاف موسى فقال الله له ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٨] لأن معك الحق ومعهم الباطل، لأن معك العقيدة الصحيحة ومعهم الخرافة الباطلة، معك الإيمان واليقين بصدق ما أنت عليه، ومعهم طلب الدنيا ومغانم الحياة، أنت متصل الله، وهم يخدمون مخلوقا لا يملك من أمر نفسه شيء حتى لو كان طاغية جباراً.

◈ ثالثاً: علاج عدم الاستقرار النفسي عند الخطأ:

بعض الدعاة تحصل منهم أخطاء دعوية، أو أخطاء في حق الله تعالى، وهنا لا بد من سرعة معالجة تلك الأخطاء وعدم تكبيرها فتُؤدِّي إلى انتكاسةٍ في حياة الداعية وتأثيراً على عمله الدعوي.

فلما قَتَلَ موسى عليه الصلاة والسلام القبطي: ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ

مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٥ - ١٧].

فقد أثر هذا الخطأ في قلب موسى عليه السلام، فندم على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه حتى غفر الله له لإزالة ما في قلبه من الخوف والرهبة من الله أولاً.

واستجاب الله تعالى دعوته بأن سخر له ناصحاً ينصحه بالخروج من هذا المكان لكي لا يلحقه أذى قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠]، وبقيت آثارها مع موسى عليه السلام حتى بعد النبوة، قال تعالى عنه: ﴿قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص:٣٣]، ﴿قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء:١٥].

◈ رابعاً: الحاجة إلى الاستقرار النفسي في مواقف الدعوة العصيبة:

ويتضح هذا في إنزال الله السكينة على الرسول ﷺ في مواضع الدعوة العصيبة، ففي فتح مكة يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

وفي حنين يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

فالداعية في المواضع العصيبة لا بد أن يسأل الله السكينة، التي تربط على قلبه وتثبته، وتجعله يتعامل مع الموقف بروية وهدوء بعيدا عن الانتقام والتصرفات غير المحسوبة.

◈ خامساً: الحاجة إلى الاستقرار النفسي عند تعنت المدعوين:

الجبلة البشرية تقتضي ضيق الصدر عند تعنت الغير، ووقوع الافتراءات منهم، والمعارضة والعداء، والداعية من البشر يصيبه ما يصيب البشر، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ، وللدعاة من بعده: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤ – ٩٩].

«لما ذكر تعالى أن قومه يهزؤون ويسفهون، أعلمه بما يعلمه سبحانه منه، من ضيق صدره وانقباضه بما يقولون: لأن الجبلَّة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك. ثم أعلمه بما يزيل ضيق الصدر والحزن. وذلك أمره من التسبيح والتحميد والصلاة. كما قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] «أي في ضيق صدر مما يمكرون من فنون المكايد فإنه تعالى كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك بهم»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] أي: حفظناك من شرّهم، فلا ينالك منهم ما يحذر. وهذا ضمان منه تعالى، له صلوات الله عليه، لينهض بالصدع نهضة من لا يهاب ولا يخشى. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]»[(٣)].

---

(١) محاسن التأويل ٦/ ٣٤٧.
(٢) محاسن التأويل ٦/ ٣٢٥.
(٣) محاسن التأويل ٦/ ٣٤٦.

«فهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة»(١).

◈ سادساً: الحاجة إلى الاستقرار النفسي حال المصائب:

فقد تمر على الداعية بعض المصائب ابتلاء واختبار من الله تعالى، فهذه سنة الله في المرسلين، كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وهنا يحتاج الداعية إلى تثبيت وتطمين لقلبه، ولذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فعندما يقرأ الداعية مثل هذه الآيات في وقت المصائب تهدأ نفسه ويستقر فؤاده، ويزيد إيمانه فيكمل الطريق في دعوته بعزمٍ وقوةٍ وإصرارٍ وثباتٍ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٥.

المطلب الثالث

وسائل تلبية احتياج الاستقرار النفسي للدعاة

❑ **أولاً: التذكير بالنعم من أسباب الاستقرار النفسي للدعاة:**

من الأسباب المعينة على الاستقرار النفسي للداعية، تذكر نعم الله تعالى وتذكيره بها، واستحضارها في المواقف الدعوية، فعندما كلف الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بالدعوة، عدد الله عليه بعض النعم التي أنعم بها عليه منذ ولادته حتى نجاته من فرعون عندما قتل منهم نفسا ثم اصطفائه للنبوة، تثبيتاً لنفسه في الدعوة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [القصص٣٧-٤٢].

وقد طمأن الله نفس عيسى عليه الصلاة والسلام بما يجعله هادئ النفس قوي الحجة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٧].

وقال تعالى في خطابه لرسول الله ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى١-٧].

❑ ثانياً: من أسباب الاستقرار النفسي الترويح عن نفس الدعاة:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً»[١].

يقول ابن القيم رحمه الله: «ينبغي للمناضل أن يعد رواحه إلى المرمى كرواحه للمسجد، واجتماعه بمن هناك كاجتماعه برؤساء الناس وأكابرهم، ولا يعد رواحه لهواً باطلاً ولعباً ضائعاً، بل هو كالرواح إلى تعلم العلم»[٢].

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظم المسابقات التي يروح بها عن نفسه ونفوس أصحابه، فينظم مسابقة في الجري بينه وبين زوجته عائشة رضي الله عنها، فيسبقها مرة وتسبقه مرة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر قالت فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: **(هذه بتلك السبقة)**[٣].

وكذلك كان يسابق بين أصحابه في الفروسية فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي قد أضمرت من الحفياء -موضع خارج المدينة بينها وبين ثنية الوداع خمسة أو ستة أميال- وكان أمدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق وإن عبدالله كان ممن سابق بها[٤].

وفي مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لخيبر كان عامر بن الأكوع يحدو بالناس ويقول:

اللهـم لـولا أنـت مـا اهتدينـا ولا تصدقنـا ولا صلينا...الـخ.

(١) العقل وفضله لابن أبي الدنيا ١/ ٦٣ (٩٤).

(٢) الفروسية - ابن القيم (٢٧٥).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب السبق على الرجل (٢٥٧٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (٢٢٤٨).

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في السبق (٢٥٧٥)، وصححه الألباني صحيح أبي داوود (٢٢٤٦).

وقد سمعه الرسول ﷺ فسأل عنه، فقيل له: عامر بن الأكوع، فقال: (يرحمه الله)[١].

❑ ثالثاً: تسلية الدعاة حال المصائب:

ومن الأمور المهمة حال المصائب تسلية الدعاة بما يهون عليهم المصائب ومن ذلك ما ورد في السيرة من أنه قد مرت على النبي ﷺ فترة من أشد الفترات عليه حتى سمّاها أهل السيرة عام الحزن فقد ماتت زوجته وعمه وأوذي من أهل الطائف، فكانت عناية الله تعالى تحرسه وترعاه فإذا برحلة الإسراء والمعراج التي أزالت تلك الشدة التي لحقت برسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

«فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدًّاً ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه حيث يسره لليسرى في جميع أموره، وخوَّلَه نعما فاق بها الأولين والآخرين»[٢].

❑ رابعاً: التذكير بقوة المنهج الذي يدعو إليه:

لا بد من تذكير الداعية دائماً وأبداً بأنه على الحق وبأن منهجه هو المنهج الحق، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى٥٢، ٥٣].

❑ خامساً: الاستقرار النفسي للدعاة بعرض التجارب السابقة:

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

قال القاسمي: «أي نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل من

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسيرة، باب غزوة خيبر (١٨٠٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٥٣.

قبلك، وتعلم أن العاقبة لك، كما كانت لهم»(١).

وقال السعدي: «أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به»(٢)، فلقد كان يجد من قومه، ومن انحرافات النفوس، ومن أعباء الدعوة، ما يحتاج معه إلى التسلية والتسرية والتثبيت من ربه- وهو الصابر الثابت المطمئن إلى ربه.

❑ سادساً: الاستقرار النفسي بتبشير الدعاة بما يثبت قلوبهم:

من الرعاية النفسية من الله للدعاة تبشيرهم ببعض الأمور التي تثبتهم على الحق وتعينهم في طريق التلقي من الله والدعوة والتعلم والتعليم. فقد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ ببعض البشريات التي هي بشرى للدعاة كذلك إذا ساروا على منهج النبي ﷺ.

فقد بشره الله **بأنه في رعاية الله**، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] قال ابن جرير: «فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين»(٣)، وقال الشيخ ابن عثيمين أي: «نراك بأعيننا ونراقبك ونلاحظك، ونعتني بك»(٤).

وبشره **بأن العاقبة للمتقين**، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. فهذه بشرى من الله لنبيه ﷺ أن العاقبة له ولمن معه ولذلك يوصيه بالصبر المؤدي لتلك العاقبة، قال

---

(١) محاسن التأويل ٦/ ١٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٢.

(٣) جامع البيان ٢/ ٤٨٨.

(٤) تفسير جزء الذاريات لابن عثيمين ص ٢٠٢.

القاسمي: «فَاصْبِرْ أي على تبليغ الرسالة، وأذى قومك، وتوقع العاقبة لك في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالنعيم الأبدي، لِلْمُتَّقِينَ أي عن الشرك والمعاصي»[١].

وبشره بأن الله **سييسره لليسر**، قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٨]. قال ابن جرير: «ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليُسرَى، واليُسرَى: هو الفُعل من اليسر»[٢]، «فهذه أيضاً بشارة كبيرة، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسراً»[٣].

❑ سابعاً: الاستقرار النفسي ببيان حفظ الله للدعاة من شر الأعداء:

قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]. قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وإن يرد، يا محمد، هؤلاء خداعَك والمكرَ بك ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾، يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعَهم إياك»[٤]. وكفى بالله سبحانه مؤيداً وناصراً وحافظاً.

(١) محاسن التأويل ٦/ ١٠٦.

(٢) جامع البيان ٢٤/ ٢٧٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٩٢٠.

(٤) جامع البيان ١٤/ ٤٤.

الفصل السابع

واجبات الدعاة فيما بينهم

وفيه تمهيد، واثنا عشر مبحثًا:

تمهيد: أهمية العناية بواجبات الدعاة فيما بينهم.

المبحث الأول: التآخي في اللّه.

المبحث الثاني: التعارف.

المبحث الثالث: التآلف.

المبحث الرابع: التفاهم.

المبحث الخامس: التكامل.

المبحث السادس: التعاون.

المبحث السابع: التشاور.

المبحث الثامن: التكافل.

المبحث التاسع: التناصر.

المبحث العاشر: التناصح.

المبحث الحادي عشر: التغافر والتغافل والتعاذر وإقالة العثرات

المبحث الثاني عشر: التطاوع.

تمهيد
أهمية العناية بواجبات الدعاة فيما بينهم

عند الحديث عن مباحث علم الدعوة -وخصوصاً مبحث الدعاة إلى الله- يضعف الحديث عن علاقة الدعاة فيما بينهم، مع أن هذا الأمر ركن أساسي في العمل الدعوي.

فالحديث عن هذه الواجبات انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ [يس١٣، ١٤].

وانطلاقا من قول الرسول ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه[(١)]، وقوله ﷺ: (المسلم أخو المسلم)[(٢)].

وقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[(٣)].

فإذا كانت هذه التوجيهات للمؤمنين عامة، فهي للدعاة خاصة، فلا بد أن يكون بين الدعاة إلى الله تجاه بعضهم البعض: تآخٍ، وتعارفٍ، وتآلفٍ، وتفاهمٍ، وتكاملٍ،

---

(١) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٠).

(٣) تقدم تخريجه ص١٤١.

وتعاونٍ، وتشاورٍ، وتكافلٍ، وتناصحٍ، وتناصرٍ، وتغافرٍ، وتغافلٍ، وتعاذرٍ، وإقالة للعثراتِ، وتطاوعٍ.

نعم. لا بد أن يكون بين الدعاة:

تآخٍ: تُراعى فيه حقوق الأخوة الإسلامية وآدابها، وتُجتنب مفسداتها.

وتعارفٍ: يَعرف بعضهم بعضاً معرفةً شاملةً وحقيقيةً يترتب عليها عملٌ.

وتآلفٍ: يَجمع القلوب ويُوحد الصفوف.

وتفاهمٍ: يُوحد الأفكار، ويُراعي التوجهات والأولويات.

وتناصحٍ: في أمر الدين والدنيا والدعوة، يُقَوِّمُ العمل الإسلامي ويُطوره ويَرتقي به.

وتكاملٍ: يُوَظِّفُ الطاقات، ويُحقق الشمولية في الخطاب الإسلامي.

وتعاونٍ: يُعين على الإتقان وإنجاز المهام ويساهم في ذلك.

وتشاورٍ: يَهدي لأفضل وأصوب المناهج والوسائل والأساليب والقرارات.

وتكافلٍ: يَتَحمل فيه العاملون للإسلام بعضهم، ويسعون لفك كُربهم وحفظ بعضهم البعض في أموالهم وأهليهم.

وتناصرٍ: يَجعلهم أقوياء ضد أعدائهم، ويَقيهم من الخذلان وتمكين أعدائهم منهم.

وتغافرٍ وتغافلٍ وتعاذرٍ وإقالة للعثراتِ: يقبل فيه الداعية من أخيه عذره، فيغفر له خطأ أو تقصيره في حقه وحق دعوته، ويقيل عثرته، أو يتغافل عن أخطائه إذا كان أذاه قاصراً، أو يمكن تداركه بوسيلة أخرى.

وتطاوعٍ: يتنازل فيه الداعية عن حق نفسه لحق دعوته بتجرد وتواضع.

وأخيرا: إن لم نستطع أن نقوم بذلك كله فليكن **التعايش**، يكف أحدهم الأذى عن أخيه، وإلا حصل التنازع والتفرق المتوعد عليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وهذا سر من أسرار العقيدة الإسلامية التي تُراعي الأخوة بين المسلمين عامة، وبين العاملين في الدعوة بصفة خاصة، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٧١].

إن «التواصلُ الدَّعويُّ الممكنُ بين الدعاةِ ليس مساراً واحداً، بل مساراتٌ متعددةٌ تُبْنَى على بعضها، فأعلى درجاتها الوحدة، وأدناها السلامةُ وكفُّ الأذى، وبينها مساراتٌ كثيرةٌ ممكنةٌ قابلةٌ للتطبيق، كالتنسيقِ والتكاملِ والتعاونِ، وبعدها مسارات كثيرة تثير عوامل النزاع والفرقة وتشتيت قوة الأمة، ومن العسير جدًّا أن يتم التعاون أو التنسيق في أجواء من التشنج والتوتر، كما أنه من العسير أيضاً أن يتحقق التواصل والتكامل على قاعدة هشة من علائق الأخوَّة التي تستبطن الشح والأثرة وسوء الظن.

إنَّ القدرةَ على إدارةِ العلاقةِ بين الدعاة برؤيةٍ ناضجةٍ تخفِّفُ من حِدَّةِ الاحتقانِ وتسعى لدرءِ النزاعات؛ هي أقلُّ الواجبِ المنوطِ بأعناق الروَّاد، والأمةُ التي لا تعرفُ كيف تُديرُ خلافاتها كيفَ لها أن تعرفَ طريقَ نهضتها؟! وأحسب أن تعزيز الائتلافِ وتغليب مصالحِ الأمة لن يتحققَ إلا بمبادرةِ القدواتِ العامِلَة الناصحة، وإذا تقاصر الرواد تطاول الأقزام»[(١)].

ومن هذا المنطلق لا بد من الحديث عن واجبات الدعاة مع بعضهم، كمسلمين أولا، ثم كشركاء في الدعوة.

(١) مَعالِمٌ في طريق الائتلاف، مقال منشور في مجلة البيان ع ٣١١ رجب ١٤٣٤.

المبحث الأول
التآخي في الله

يجدر التنبيه إلى أن كل واجبات الأخوة العامة بين المسلمين هي واجبة على الدعاة بصفة خاصة، ونعرض هذا من خلال النقاط التالية:

◈ أولاً: مفهوم الأخوة في الله بين الدعاة:

الأخوة في الله: عبارة عن كل ما يربط المسلمين بعضهم ببعض، وهذا الرابط:

قائم على الإيمان بالله والإيمان برسول الله ﷺ، **مقدم** على أخوة الدم والعرق، **دافع إلى** الحب في الله، والبغض في الله، والولاء لله والبراء لله.

فالأخوة الحقيقية هي أخوة الإيمان، فلا أخوة صادقة بلا إيمان، ولا إيمان صادق بلا شعور بالأخوة للمؤمن، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران ١٠٣]، وقال ﷺ: **(وكونوا عباد الله إخوانا)**[(١)].

«فمن كان قائماً بواجب الإيمان كان أخا لكل مؤمن، ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وان لم يجر بينهم عقد خاص، فإن الله قد عقد الأخوة بين المسلمين بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾»[(٢)].

فالدعاة تربط بينهم الأخوة من جانبين: الأول: الإيمان، **الثاني**: تبليغ الإيمان، وكل منهما مما يقوي الأخوة وينميها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب التحاسد والتدابر والتباغض (٢٥٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤١٨.

◈ ثانياً: أهمية الأخوة وفضلها:

للأخوة في الله أهمية كبيرة جدّاً ومكانة عالية في الإسلام، تتأكد في حق الدعاة فيما بينهم، والذي يبرز هذه المكانة وهذا الاهتمام أمور وشواهد كثيرة منها:

١- الآيات والأحاديث التي تحث على الأخوة في الله تعالى: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، وقال ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)[1].

٢- من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[2].

٣- أمر الله بالأخوة في الله بعد الأمر بالتقوى، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣] فالأخوة إذا تنبثق من الأيمان بالله تعالى وتقواه.

٤- امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على المؤمنين بنعمة الأخوة فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران ١٠٣].

٥- أول ما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة بنى المسجد ثم آخى بين المهاجرين والأنصار. أي: أن الرسول ﷺ وضع أسس قيام الدولة الإسلامية أول ما وصل، وكان من أول هذه الأسس توثيق العلاقة بين الذين سيحملون هذا الدين، وذلك يتمثل في الإخاء بين المهاجرين والأنصار، وهذا يُبْرِزُ أهمية الأخوة في بناء المجتمع المسلم وحفظه واستمراريته.

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٢٨٦، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (١٤٢٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١).

٦- قدم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخوة الدين على الأهل والأقارب فقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٧- شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أموراً تحافظ على سلامة الأخوة بين المؤمنين ونهي عن أمور تكون سبباً في فساد العلاقة الأخوية بين أبناء المجتمع المسلم.

هذه الشواهد تعطينا البرهان على أهمية الأخوة في الله تعالى ووجوبها والحقوق التي يجب أن يلتزم بها الإخوة في الله تعالى والبعد عما يخدش هذه الأخوة أو يساعد على عدم استمراريتها ووأدها، هذا في حق المسلمين كافة وتتأكد في حق الدعاة إلى الله خاصة.

◈ ثالثاً: حقوق الأخوة الإسلامية:

للأخوة في الله حقوق كثيرة، تتأكد في حق الدعاة إلى الله فيما بينهم، فمن جوامع واجبات الأخوة ما بينه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبينه رسوله ﷺ، ومن ذلك:

١- الأمر بالتعارف بين المسلمين، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢- الإصلاح بين المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. وقوله ﷺ: **(كل سُلامى من الناس**

عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة...)[١].

٣- أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، كما قال ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**[٢].

٤- التواد والتراحم، قال ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[٣].

٥- العمل على نصرتهم، قال ﷺ: **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)** قيل: أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟! قال: **(تحجزه عن الظلم ذلك نصره)**[٤].

وقال ﷺ: **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه)**[٥].

٦- الرد عن عرض الأخ المسلم، قال ﷺ: **(من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)**[٦].

٧- حفظ السر وستر العورة، قال ﷺ: **(لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة)**[٧].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بن الناس والعدل بينهم (٢٧٠٧)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٤٥).

(٣) تقدم تخريجه ص٤١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه (٦٩٥٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم (٢٨٥٠).

(٦) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب الذب عن المسلم (١٩٣١)، وقال حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح جامع الترمذي (١٥٧٥).

(٧) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة (٢٥٩٠).

٨- أداء حق المسلم على المسلم، قال ﷺ: **(حق المسلم على المسلم خمس إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)**(١).

٩- إبرار القسم، كما في رواية البراء للحديث: **(ونصرة المظلوم، وإبرار القسم)**(٢).

◈ رابعاً: النهي عن ارتكاب مفسدات الأخوة:

فقد قرر الإسلام المنهج الذي يحفظ الأخوة من مفسداتها وخوارمها، ببيان أسباب النزاع وأصولها وتحذير المسلمين ونهيهم أن يقعوا في تلك الأمور خشية أن يحصل بينهم البغضاء والتفرق.

فنهى الله سبحانه عن أمور كثيرةٍ هي من أسباب ذهاب الأخوة بين المسلمين، مثل ما بينه الله تعالى في سورة الحجرات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا)(٣)،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر بإتباع الجنائز (١٢٤٠). ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم رد السلام (٢١٦٢) مع اختلاف في لفظ الحديث.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر بإتباع الجنائز (١٢٣٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣). ومسلم، كتاب البر والصلة، باب الظن والتجسس والتنافس والتناجش (٢٥٦٣).

فعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا وأنت تجد له في الخير محملاً، ومن عَرَّض نفسه للتُهم فلا يلومن إلا نفسه»[(١)].

وينبه رسول الله ﷺ على الغيبة وحقيقتها، فقد قال يوما لأصحابه: **(أتدورن ما الغيبة؟)** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **(ذكرك أخاك بما يكره)** قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال ﷺ: **(إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)**[(٢)].

وقال ﷺ: **(لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)**[(٣)].

وقال ﷺ: **(إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد)**[(٤)].

وقال ﷺ: **(ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذيء)**[(٥)].

وقال ﷺ: **(لا يدخل الجنة قتات)**[(٦)]، وفي رواية: **(لا يدخل الجنة نمام)**[(٧)].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٣٢٣ (٧٩٨٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة (٢٥٨٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب التحاسد والتدابر والتباغض (٢٥٥٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).

(٥) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش (١٩٧٧) وقال حديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٠).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة (٦٠٥٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة (١٠٥).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة (١٠٥).

وقال ﷺ: (**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه**)[١].

وقوله ﷺ: (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**)[٢]، وقوله ﷺ: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله**)[٣].

وقال ﷺ: (**لا يبع بعضكم على بيع بعض**)[٤]، وقال ﷺ: (**ولا يخطب بعضكم على خطبة بعض**)[٥].

◈ خامساً: آدابٌ تقوي الأخوة بين الدعاة:

الأخوة أدبٌ جمٌّ وخلقٌ رفيعٌ ارتقاه سعيد بن العاص، فقال: «إني لأكره أن يمر الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه»[٦].

وللأخوة آداب تقوي الأخوة نص عليها الشارع تمنح الأخوة رونقاً وبهاءً وجمالاً فمنها:

١- النية الصالحة، بأن يكون الحب لله: قال ﷺ: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**)[٧]، وقال ﷺ: (**إن أوثق عرى الإيمان أن**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمساواة والمناجاة (٦٢٩٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (٢١٨٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤).

(٣) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك (١٤١٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك (١٤١٢).

(٦) العقد الفريد ٢/ ٤٢٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

تحب في الله، وتبغض في الله)(١).

فينوي المسلم من أخوته لأخيه المسلم أن يكون عوناً له على أمر دينه ودعوته ودنياه وليستعين به على طاعة الله تعالى، فبهذا يوفق الله سبحانه الأخوين إلى الخير ويحفظ الله عليهما أخوتهما.

٢- إخبار الأخ بمحبته في الله، فإن هذا مما يستجلب المودة ويعمل على زيادة الألفة لقوله ﷺ: **(إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه)**(٢). فما أعظمه من أثر على النفس وما أجمله من أدب مع الإخوة.

٣- التبسم والبشاشة، لقوله ﷺ: **(تبسمك في وجه أخيك صدقة)**(٣).

٤- تقديم الهدية وقبولها، **حيث إن** للهدية أثر واضح في تصفية القلوب من الأدغال والأحقاد، يقول الرسول ﷺ: **(تهادوا تحابوا)**(٤).

٥- الإيثار، لقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر ٩]، أي: أن تؤثر أخاك المسلم على نفسك حتى لو كنت أنت محتاجاً فإن لم تستطع على ذلك فأشركه معك في الخير الذي بيدك.

٦- الدعاء بظهر الغيب، لقول الرسول ﷺ: **(دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل)**(٥).

---

(١) مسند أحمد ٣٠/ ٤٨٨ (١٨٥٢٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بشواهده، وقال الألباني: صحيح بمجموع طرقه، انظر: السلسلة الصحيحة (٩٩٨).

(٢) مسند أحمد ٢٨/ ٤٠٨ (١٧١٧١) واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، وجامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الإعلام بالحب (٢٣٩٢).

(٣) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف (١٩٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٤) الأدب المفرد للبخاري (٥٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٦٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٢٧٣٣).

٧- السعي لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم، لقوله ﷺ: **(المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)**(١).

٨- تعاهد الأخ بالزيارة والسؤال، لقول النبي ﷺ: **(أن رجلاً زار أخاً له في قرية، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)**(٢).

٩- ترك التكلف، حتى لا يشعر الأخ أنه غريب عن أخيه، ولا يلجئه إلى الاعتذار دائماً، بسبب هفوة صغيرة، وكلمة عابرة، ويحاسبه على النقير والقطمير، كما قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف ١٩٩] أي: خذ العفو اليسير الممكن من أخلاق الناس في صحبتهم ومعايشتهم، ولا تطلب منهم الكمال، ولا تكلفهم ما لا يطيقون من الأخلاق.

قال الفضيل: «إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له، فيقطع ذلك عنه»(٣)، وكان جعفر بن محمد الصادق يقول: «أثقل إخواني علي: من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي»(٤). وقال بعض الحكماء: من سقطت كلفته دامت ألفته(٥).

١٠- الابتعاد عن الإطراء وترك المدح، فقد حذر الرسول ﷺ من الإطراء

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢). ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله (٢٥٦٧).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب، لمحمد بن عطية الحارثي ٢/ ٣٠٩.

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب، لمحمد بن عطية الحارثي ٢/ ٢٧٨.

(٥) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٩.

والمدح، صيانة للأفراد من الغرور والإعجاب بالنفس، وصيانة للعلاقات الأخوية، وحفاظاً على المجتمع الإسلامي، عن أبي موسى قال: سمع النبي ﷺ جلاً يثني على رجل ويطريه في المدح فقال: **(أهلكتم - أو: قطعتم - ظهر الرجل)**[١].

١١- عدم مواجهة الأخ بالعتاب، قال على بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥] قال: «الرضا بغير عتاب»[٢]. قال الفضيل: «الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان»[٣].

وما أحسن قول الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا — خليلك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه — مقارف ذنب مرةً ومجانبه[٤]

وهذا أمر مهم جدًّا في الأدب مع الإخوان حيث إن الإنسان من طبعه لا يحب العتاب الكثير من أي أحد وبالتالي فإنه لا يحب كثرة العتاب ممن يحبهم ويثق بهم.

مع التنبيه إلى أن العتاب القليل للإصلاح مطلوب وقد يكون تركه تماماً خطأ تربوي، لكن المشكلة في الإكثار منه لأنه يضيع هيبة الكلام، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣].

وللعتاب آداب منها الدعاء قبله والرفق فيه تأسيا بقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٤٣]، فقدم الدعاء على العتاب.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما يكره من الإطناب في المدح وليقل ما يعلم (٢٦٦٣). ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان في إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (٣٠٠١).

(٢) الدر المنثور ٤/ ١٠٤، فتح القدير ٣/ ١٤١.

(٣) الرسالة القشيرية ٢/ ٣٨٠.

(٤) روضة العقلاء ص١٨٢.